حماية البيئة في مواجهة العنف ضد الأقليات- الأهواز دراسة حالة

SPHER International, Ltd. Company limited by guarantee, Company number: 8510651

www.spherinternational.org.uk

د.أسماء الكتبي

1. مقدمة

إنطلاقا من أهداف هذه الدورة-السابعة- المعنية بقضايا\حقوق الأقليات، التي تدور حول العوامل المؤدية للعنف وارتكاب الجرائم الفظيعة ضد الأقليات، بما فيها أوجه القصور في الحكم الرشيد أو في سيادة القانون، أو في احترام حقوق الإنسان، التي تُضعف الأقليات. وأنماط التمييز ضدهم، في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والانتهاك المنهجي لحقوقهم الإنسانية الأساسية، التي تتصاعد أحيانا فتصبح جرائم ضد الإنسان والبيئة.

وإنطلاقا من الإطار القانوني الدولي للأقليات الذي رأت الجمعية العامة للأمم المتحد في ديباجتها أن من شأنها "تعزيز وحماية حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو إثنية وإلى أقليات دينية ولغوية يسهمان في الاستقرار السياسي و الاجتماعي للدول التي يعيشون فيها"، وأن ..."تعزيز حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو إثنية وإلى أقليات دينية ولغوية، جزء لا يتجزأ من تنمية المجتمع بأسره ..، وأنه من شأنه أن يسهم في تدعيم الصداقة والتعاون بين الشعوب والدول".

من هذين المنطلقين تقدم منظمة إسفير أنترناشونال لحقوق الإنسان والبيئة هذه الورقة، التي توضح فيها ترابط حقوق الإنسان والبيئة، متخذة من الأهواز مثال حي وقائم، يلقي الضوء على إنتهاك حقوق الإنسان في ذلك الأقليم أدى لأنتهاك حقوق البيئة، وإنتهاك الإثنين تسبب بعدم الإستقرار السياسي، لكن العكس صحيح، فلو حرصت الحكومة الإيرانية على التنيمية الإقتصادية والبشرية في أقاليم الأقليات من خلال حماية حقوقهم كجزء لا يتجزأ من أراضيها، وتوفير مستلزماتهم الأساسية كجزء لا يتجزء من الشعب الإيراني، بدأ بالحق في الحياة، وأنهاء بالحق في العيش في بيئة مناسبة، لتحقق الإستقرار السياسي في الدولة، بإختصار أنها طريقة الجميع بها رابح.

2. إسفير أنترناشونال

منظمة دولية لحماية حقوق الإنسان والبيئة، أشهرت في إبريل 2013، و"إسفير" SPHER إختصار للتسمية باللغة الإنجليزية "Society for the Protection of Human and Environmental Rights ". وتتجسد رؤية المنظمة في المساهمة لرفع مستوى الحالة الإنسانية والبيئية، بالتركيز على حقوقهما وفقا للقانون الدولي للبيئة، والقانون الدولي لحقوق الإنسان، وذلك من أجل مجتمعات أكثر إنسانية في كافة أقطار العالم، لذلك تسعى إسفير إنترناشونال للتأكيد على أهمية الإستقرار السياسي كأساس لحماية حقوق الإنسان والبيئة. لإدراكها الترابط بين حقوق الإنسان وحقوق البيئة، وأن الأثنين يتعرضان للإنتهاكات خلال فترات عدم الاستقرار السياسي، وعليه فأننا نهدف إلى نشر الوعي لهذا التداخل، كما أننا تسلط الضوء على أهمية الإستقرار السياسي، للسيطرة بإحكام على حماية حقوق البيئة والإنسان.

3. ايران

لإيران موقع جيوسياسي مميز، كنقطة التقاء لثلاث جبهات آسيوية (غرب آسيا ووسطها وجنوبها)، والموقع الجغرافي لإيران أيضا يفصل شبه الجزيرة عن وسط أسيا، كما أن مرتفعاتها (زاجروس) تحد الكتل الباردة القادمة من سيبيريا من الوصول لشبة الجزيرة العربية، وتقذف رياح الشمال القادمة منها ملوثات المصانع الإيرانية على الجنوب الغربي للخليج العربي، بإختصار موقع إيران الجيوسياسي يؤثر مناخيا وسياسيا على المنطقة.

وهي لا تعد قوة إقليمية فقط، بل أنها قوة مؤثرة في أمن الطاقة الدولية، والإقتصاد العالمي بسبب أحتياطاتها الكبيرة من النفط والغاز الطبيعي، ففيها ثاني أكبر احتياطي من الغاز الطبيعي في العالم، ورابع أكبر احتياطي مؤكد من النفط.

يبلغ عدد سكان إيران أكثر من 75 مليون نسمة، معظمهم مسلمون (شيعة وسنة)، ويوجد من بين السكان أقليات دينية من اليهود والمسيحيين، بالإضافة إلى البهائيين، والمندائيين، والزرداشتيين، و اوليارسانيين. كما تتعدد الأعراق في سكانها، فبالإضافة للفرس (الأغلبية) يوجد الأكراد، والتركمان، والبلوش، والأرمن، والعرب وهم مجال الطرح لهذه الورقة. ويتحدث السكان بأكثر من 110 لغة، ومن أكثرها رواجا بعد الفارسية، الأذربجانية، والكردية، والتركمانستانية،و البلوشية، والسيستانية، والبندرية (الخليجية)، والعبرية، بالإضافة للعربية.

4. الأهواز

وهي عاصمة إقليم خوزستان –أرض القلاع-، التي كانت معروفة بعربستان –أي أرض العرب- قبل أن تقتطعها بريطانيا –لتقلص النفوذ الروسي في المنطقة-من العراق وتضمها لإيران، وهي الآن منطقة عربية تحتل قلب إيران (الوسط الغربي) جغرفيا وإقتصاديا (حيث ينتج الإقليم 70% من نفط إيران المصدر)، تفصلها جبال زاغروس عن بقية الجمهورية الإيرانية الإسلامية، ولقد لعب هذا الفاصل الطبيعي دورا هاما في التباين الثقافي بين البشر الذين عاشوا شرقه (الفرس) وأولئك الذين عاشو غربه (العرب) عبر التاريخ.

الخريطة الطبيعية لإقليم الأحواز

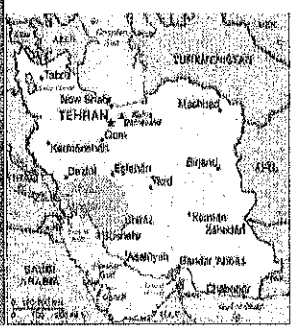

الموقع الجغرافي لإقليم الأحواز

وبالرغم من أن معظم عرب خوستان شيعة، إلا أن شيعة هذا الإقليم يعانون من السياسة التعسفية لحكومة ولاية الفقيه، والجور على هذه المنطقة سواء كان مقصود أو غير مقصود شمل الإنسان والبيئة على حد السواء.

5. العنف الإنساني والبيئي في عربستان\خوزستان

من العرض السابق للبنية السكانية لجمهوري إيران الإسلامية، نلاحظ أنها من الدول المتنوعة الأعراق والديانات والطوائف عبر التاريخ، أفرز هذا التنوع الثقافي نتيجة الطبيعية الجغرافية للدولة، وتعاقب الحضارات فيها عبر التاريخ، وإتساع مساحتها، الناتج في بعض الأحيان من تبعات الإستعمار البريطاني.

وقد ولد تقسيم الحدود الذي فرضه الإستعمار البريطاني عدم إستقرار سياسي لبعض الأقاليم، كما في إقليم خوزستان\عربستان، وبالتالي ظهرت فيه إنتهاكات لحقوق الإنسان والبيئة، وهذه الإنتهاكات لم تختص بحكومة بعينها، بل توارثتها الحكومات الإيرانية رغم إختلاف إتجاهاتها وأيدلوجياتها، (البهلوية والشيعية). تلخصت إنتهاكات حقوق الإنسان في الحرمان من التعليم، والحق في الصحة، وحتى الحق في الحياة أحيانا، بالإضافة لإنتهاك بعض الحريات، أما حقوق البيئة فهي تظهر في الجور على المياة وتلويثها بالمخلفات الصناعية، وخاصة النفايات الكيميائية، التي يتم التخلص منها في الأنهار والخليج العربي أيضا، كما فاقمت السدود من زيادة وتيرة الزلال في المنطقة، فأضر هذا السلوك الصناعي –سواء كان مقصود أو غير مقصود- بالإثنين معا (الإنسان والبيئة).

1. العنف ضد الإنسان الأهوازي

تعرض الإنسان العربي في الأهواز لعدد من أنواع العنف سواء كان مباشر أو غير مباشر، منذ أن ضمت بريطانيا الأقليم إلى إيران، وبالرغم من أن معظم البنية السكانية للإقليم من الشيعة، إلا أن حكومة الفقيه (الشيعية) تعاملهم بتمييز عنصري، يختلف تماما عن الدعم الذي تقدمه لعرب الشيعه في البحرين.

وتتلخص تلك الإنتهاكات في أحكام الإعدام التعسفية، وإستخدام الجنود من عرب الأهواز في الصفوف الأولى أثناء الحروب الإقليمية، كما حدث أثناء الحرب العراقية الإيرانية، بالإضافة إلى الإبادة والإبعاد والنقل القسري، والإغتصاب، أو الإكراه على البغاء، وأشكال العنف الجنسي الأخرى، وذلك وفقا لما أفادت به تقارير منظمات حقوق الإنسان الأهوازية.

ومن أشكال العنف الأخرى، تفشي الأمية بين سكان الأهواز، والنقص في عدد المدارس والمدرسين، وحرمانهم من التعليم باللغة الأم (العربية)، ومن أشكال العنف والتمييز أيضا نقص الطبابة، والتسبب بتفشي أمراض مثل سرطان الرئة وبعض الأمراض الجلدية الناتجة عن تلوث الهواء والماء في الإقليم.

2. العنف ضد البيئة في الأحواز

العنف ضد البيئة في الأهواز والجور عليها، متمثل في تركز الصناعات الثقيلة بأنواعها في الإقليم، بالإضافة إلى الجور على المياة، سواء من خلال استنزافها في الصناعات، أو من خلال تحويل مجاري الروافد نهر قارون\كارون، ونقل مياهها للمناطق الداخلية من إيران،الأمر الذي قضى على بيئات حيوية بأكملها، وأخيرا بناء السدود الذي أدى زيادة نسبة الزلازل في الإقليم.

لقد صنفت منظمة الصحة العالمية خلال العام الحالي مدن الأهواز من أكثر مدن العالم تلوثا، وفي 2012 نقلت وكالة مهر الايرانية شبه الرسمية أن نسبة تلوث الهواء المدن الأهواز

الصناعية (عبدان، الأهواز، والقنيطرة) وصلت إلى ما 383 ضعافا للنسبة المتعارف عليها دوليا، بينما تعترف السلطات في أيران بتضاعف التلوث الهوائي إلي 51 ضعف فقط.

وأسباب زيادة نسبة الكربون في هذا الأقليم، تعود إلى تركز الصناعات فيه، مثل الصناعات البتروكيماوية، والحديد والصلب\الفولاذ، والبلاستك، بالإضافة إلى حرق نفايات الشركات البتروكيمياوية.

والمثير للإنتباه أن العوامل الطبيعة أيضا زادت من تفاقم التلوث الهوائي في الإقليم، حيث تغزو العواصف الرملية والترابية الأقليم كل صيف، وتهب هذه العواصف من شبه الجزيرة العربية، وذلك بسبب إنخفاض الضغط الجوي في بحر قزوين، وإرتفاعه في شبه الجزيرة، مما يؤدي تحرك الرياح المحملة بالرمال والأتربة من المناطق المرتفعة الضغط بشبه الجزيرة للمناطق المنخفضة الضغط، فتعبر أثناء رحلتها على إقليم الأهواز.

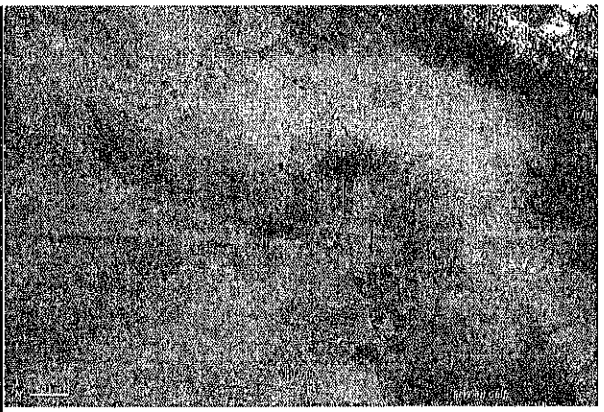

صور لوكالة ناسا تبين كثافة العواصف الرملية على إقليم الأهواز

المنخفات الجوية المرتفعة والمنخفضة، وحركة العواصف الرملية

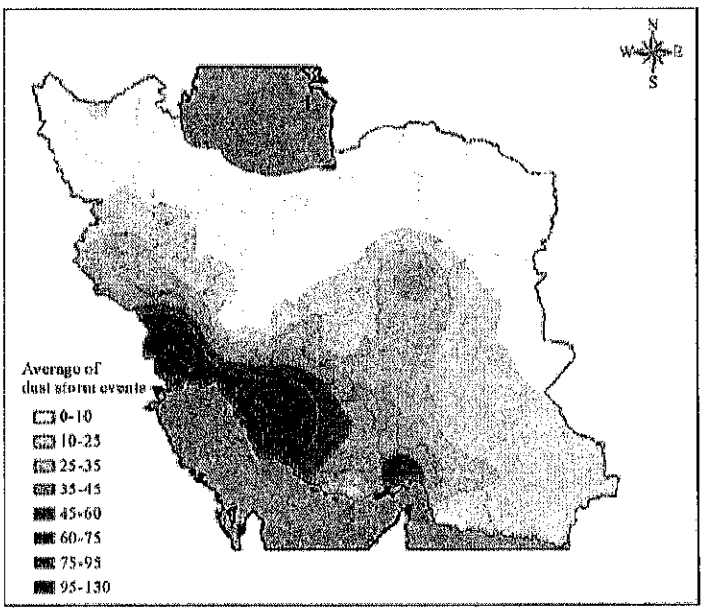

توزيع متوسط عدد مرات العواصف الرملية سنويا، وفقا لدراسة قام بها مستبى جلبودي وآخرون 2013

أما التلوث المائي، فيشمل تلوث مياه الأنهار ومياه البحر (الخليج العربي)، نتيجة رمي المخلفات الكيميائية والبتروكيميائية، الناتجة من مصانع الصلب والحديد والبتروكيمياويات، والبعض يذهب بعيدا ليتحدث عن الإشعاعات النووية، من مفاعل أبو شهر على وجه الخصوص.

كما ساهمت بعض المشاريع الغير مدروسة بفقدان بيئات حيوية كاملة نتيجة لجفاف نهر قارون\كارون، بعد أن تم تحويل مسارات روافده بإتجاه الداخل الإيراني، هذا بالإضافة إلى بناء السدود على النهر وروافده، التي وصل عددها إلى 74 سد مختلفة الأحجام، 17 سد في خوزستان، و 55 سداً في محافظة هرمزغان، وسد واحد لكل من محافظة ابوشهر وعيلام، كما أدى هذا الجفاف إلى تصحر مناطق كبيرة من الإقليم، خاصة هور الفلاحية وهور الحويزة، خاصة بعد فشل مشارع قصب السكر التي أقامتها الحكومة، وحرق آلاف الهكتارات من المزارع الخاصة بالأهوازيين.

ولقد ظهر تلوث مياه البحر من نفوق الأسماك في سواحل الأحواز الشمالية، والأكثر خطورة هو زيادة نسبة الرصاص والزئبق في أسماك تلك المناطق، التي تعد من الوجبات الأكثر شيوعا بين عرب الأهواز.

ولم يؤدي تقص وتلوث مياه الشرب من نهر قانون بمضاره السيئة على سكان الإقليم، لكنه أيضا أدى إلى عدم توزان القشرة الأرضية، وبالتالي زيادة نسبة الزلازل في الأقليم، الذي هو عرضة للزلزل في الأصل نتيجة لزحزة الألواح، وإقتراب اللوح العربي من اللوح الأسيوي، إلا أن تراكم بحيرات المياة خلف السدود يؤدي إلى تفاقم وزيادة وتيرة الزلازل في المنطقة، وفقا لأبحاث علمية في مناطق مختلفة ومتعددة في العالم.

6. الخاتمة

إن ما يطالب به الناشطون الحقوقيون في الأهواز بسيط ويمكن تحقيقه، لو أعتبرت الحكومة الإيرانية إقليم الأهواز جزء من الأراضيها والعرب الأهوزايين جزء من شعبها، غير ما يظهر من الحكومات المتعاقبة (البهلوي وولاية الفقية) على الإقليم منذ ضم الأقليم لإيران، اللذين لم يدخرا جهدا في طمس حقوق سكان الإقليم الإنسانية، من التطهير العرقي وكأنهم ليسوا من نسيج الشعب الإيراني، إلى الجور على البيئة في ذلك الإقليم وكأنه ليس جزء من وحدتها كدولة.
وعلى الدولة إلتزامات أخلاقية وحقوقية لتحقيق مطالب العرب الأهوازين، بما أنها كانت قد وقعت المعاهدات الدولية الخاصة بهذا الشأن، فما يطالب به هؤلاء الناشطون نابع من الحقوق البسيطة التي تتبانها الأمم المتحد للأقليات المذكورة أعلاه، على النحو التالي:

1. التنيمية الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، والبيئية.
2. الحق في إنشاء الأحزاب والمشاركة السياسية، فلا يوجد –حتى الآن- محافظ واحد على محافظة الأهواز من الأهواز.
3. التمتع بحقوقهم الثقافية في التعليم ومزاولته باللغة الأم (العربية) في المدارس والجامعات.
4. وقف الإعدامات في حق النشطاء السياسيين، والإعتقالات التعسفية.
5. الأهتمام بنوعية البيئة في الإقليم

الخلاصة لو طبقت الحكومة الإيرانية إلتزاماتها نحو الإنسان والبيئة في إقليم الأهواز، لعم الأستقرارالسياسي للدولة، والأمان الإجتماعي للعرب الأهواز، وأرتقى مستوى البيئة في الأقليم، أن إلتزام أخلاقي صغير من الدولة نحو الإنسان والمكان في الأهواز سيحقق الربح للجميع / الحكومة والإنسان والبيئة.